ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

السياق المكاني والزماني للآيات القرآنية في ضوء أسباب النزول

رائد محمد نجم الكاتب المسؤول
قسم علوم القرآن والحديث- جامعة مازندران- بابلسر- ايران
الدكتور حبيب الله حليمي جلودار المشرف
أستاذ مشارك قسم علوم القرآن والحديث – جامعة مازندران – بابلسر –إيران
الدكتور رضا اقا يور المشرف المساعد
أستاذ مشارك قسم علوم القرآن والحديث- جامعة مازندران- بابلسر- ايران

The spatial and temporal context of the Quranic verses in light of the reasons for revelation

Raid Mohammed Najim
Ph.D Candidate (Corresponding Author) Quranic Sciences and Hadith, Department, University of Mazandaran; Babolsar: Iran
Supervising Professor:
Dr. Habibullah Halimi Jellodar
jloudar@umz.ac.ir 09111151635
Associate Professor of the Quranic Sciences and Hadith, Department, University of Mazandaran; Babolsar: Iran
Co-Supervisor:
Dr. Ridha Agha pour
r.aghapour@umz.ac.ir(orkid) 0000-0001-7124-3753
Associate Professor, Department of Qur'anic Sciences and Hadith, Faculty, University of Mazandaran; Babolsar: Iran

المستخلص

يتناول هذا البحث دراسة السياق المكاني والزماني للآيات القرآنية في ضوء أسباب النزول، بوصفه أحد المرتكزات المنهجية لفهم الخطاب القرآني وتفسيره تفسيرًا سليمًا. ويهدف إلى الكشف عن أثر البيئة الزمانية والمكانية المصاحبة لنزول الآيات في توجيه دلالاتها، وبيان مدى إسهام أسباب النزول في إزالة الإشكالات التفسيرية، وترجيح الأقوال، واستجلاء المقاصد الشرعية. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء الروايات الواردة في أسباب النزول، وتمحيصها وفق ضوابط المحدثين والمفسرين، ثم تحليل نماذج مختارة من الآيات التي ارتبط نزولها بأحداث وأمكنة وأزمنة محددة، مع بيان العلاقة بين السياق التاريخي واللغوي والدلالي للنص القرآني. وتوصل البحث إلى أن استحضار السياق المكاني والزماني يمثل أداة علمية مهمة لفهم مراد الله تعالى من الآيات، ويسهم في بيان الحكمة التشريعية، وفهم أسباب اختلاف المفسرين في بعض المواضع، والتمييز بين الأحكام المرتبطة بوقائع معينة والأحكام ذات الدلالة العامة. كما أكد البحث أن أسباب النزول لا تقصر دلالة النص على سبب خاص، وإنما تُعد وسيلة لفهمه في ضوء القاعدة الأصولية المقررة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ما لم يقم دليل صحيح على التخصيص. ويوصي البحث بمزيد من الدراسات التطبيقية التي تربط بين علوم القرآن والدراسات السياقية الحديثة، بما يعزز الفهم المقاصدي للنص

القرآني ويواكب متطلبات البحث العلمي المعاصر.**الكلمات المفتاحية: السياق المكاني، السياق الزماني، أسباب النزول، علوم القرآن، التفسير، المقاصد الشرعية.**

Abstract

This study examines the spatial and temporal context of Quranic verses in light of the reasons for their revelation (asbab al-nuzul), considering it a methodological cornerstone for understanding and correctly interpreting the Quranic discourse. It aims to reveal the impact of the temporal and spatial environment surrounding the revelation of the verses on shaping their meanings, and to demonstrate the extent to which the reasons for revelation contribute to resolving interpretive difficulties, weighing different opinions, and clarifying the legal objectives. The research employs a descriptive-analytical approach, examining the narrations related to the reasons for revelation, scrutinizing them according to the criteria of hadith scholars and Quranic exegetes, and then analyzing selected examples of verses whose revelation is linked to specific events, places, and times. This analysis also clarifies the relationship between the historical, linguistic, and semantic context of the Quranic text. The study concludes that considering the spatial and temporal context is a crucial scientific tool for understanding God's intended meaning in the verses. It contributes to elucidating the legislative wisdom, understanding the reasons for differences among commentators in certain instances, and distinguishing between rulings related to specific events and those with general implications. This study also affirmed that the reasons for revelation do not limit the meaning of a text to a specific cause, but rather serve as a means of understanding it in light of the established legal principle: the general meaning of the words takes precedence over the specific reason, unless there is sound evidence to the contrary. The research recommends further applied studies that link Quranic sciences with modern contextual studies, thereby strengthening the purposive understanding of the Quranic text and keeping pace with the demands of contemporary scientific research.

Keywords: spatial context, temporal context, reasons for revelation, Quranic sciences, exegesis, legal objectives.

المقدمة :

يعتبر البحث والدراسة في أسباب نزول آيات الكتاب العزيز من أهم الأبواب لعلوم القرآن ، فهذا المجال يساعد بشكل كبير على فهم سياق ومضمون النص القرآني ، ويكشف عن الظروف والملابسات التي أحاطت بالآيات العظيمة ، سواء من حيث الزمان الذي نزلت به أو مكان نزولها أو الملابسات التي أدت لنزول هذه الآية أو السؤال الذي سبب نزولها. كما أنَّ معرفة الموقع الزماني والمكاني الذي نزلت فيه الآيات الكريمة يقدم العون للمفسرين لإدراك المقصد للنص المبارك ، ويمنحهم قدرة عظيمة ودقيقة على توضيح الحكمة التشريعية وربط المعنى بحالة نزوله وسياقه . ومما لا يوجد فيه شك أنَّ الكتاب العزيز نزل بشكل متدرج على النبي الكريم وذلك بين المدينة المنورة ومكة وأتى ليقدم علاج لقضايا مختلفة ومتجددة ، وليجيب على أسئلة حاضرة ، وقد اقتضت قدرة الله وحكمته أن يكون للزمان والمكان الذي نزلت فيه الآيات العظيمة دور لا يمكن إهماله في توجيه خطاب الله العزيز ، فكان البعض من الآيات المباركة مكي بينما كان بعضها مدني ، وكان لكلّ من هذه الآيات العظيمة خصائصه من ناحية الموضوعات ومن ناحية الطريقة التي تمت فيها معالجتها والتي تم فيها توجيه الخطاب للناس. ومن هنا كان من اللازم تقسيم الآيات المباركة وفق أسباب النزول إلى مجموع من الأقسام وذلك بحسب خصوصية العلاقة وشكلها بين نص الكتاب المبارك من جهة وبين الحدث أو السؤال أو الموقف الذي استوجب نزول هذه الآية المباركة من جهة أخرى. ومن الممكن أن يتم إيراد قسمين من الآيات المباركة حسب أسباب نزولها وهي:

أولاً : النزول ابتداءً وذلك من دون وجود سبب مباشر لنزول الآيات العزيزة ومن دون وجود ظاهرة تستوجب نزولها وهذا القسم يضم الآيات المباركة التي نزلت ابتداءً من دون أن تسبق بسؤال أو حادثة معينة تستدعي نزولها ويمكن أن يتم تقسيم هذا النوع إلى عدة أقسام منها :

- النزول ابتداءً أي بما يتعلق بأحداث ستجري في المستقبل و هذا النوع من الآيات المباركة يرد بهدف الإخبار عن أمور ستحدث في المستقبل ومن الممكن أن تكون لتخبر بالنصر أو التحول في مجرى الأحداث وسياقها كما في قوله جلَّ جلاله : **(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)**[١]

فهذه الآية العظيمة نزلت ابتداءً وذلك لتوضح الوعد الذي قدمه ذو الجلال والإكرام بإظهار الدين الإسلامي على كلّ الأديان على الرغم من أنَّ هذا الأمر لم يكن محقق في اللحظة التي نزلت فيها الآية المباركة وهذا الأمر يعطيها خصائص زمنية خاصة .

- نزول الآيات المباركة ابتداءً لعرض القصص والأحداث التي جرت مع الأمم السابقة وهذا ما تتمّ ملاحظته في توضيح القصص والأحداث التي جرت مع الأنبياء الكرام الذين سبق نزولهم نزول النبي الأكرم محمد صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله ، مثل قوم هود ولوط وغيرهم عليهم السلام ،

فهذه الآيات المباركة نزلت بهدف استخلاص العبر والمواعظ والحصول عليها ، ولتثبيت قلبه عليه وعلى آله الصلاة والسلام وتربية الأمة على سنن الله الواحد الأحد.[٢]

ثانياً : النزول بهدف الاستجابة لسؤال معين أو حدث أو واقعة محددة ، حيث أنَّ هذه الآيات المباركة يرتبط سبب نزولها بحوادث جرت بالفعل أو بأسئلة تمَّ طرحها على نبي الله الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله ، فجاءت لتجيب على هذه الاسئلة ولتبين الحكم المراد إيصاله للناس جراء وقوع حادثة معينة أو أمر محدد مع النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله.سيتم في هذا الدراسة الحديث ضمن هذه الموضوعات حيث سيتم بداية في المبحث الأول الحديث عن الموقع الزماني والمكاني لنزول الآيات ابتداءً ، أمَّا المبحث الثاني سيكون بعنوان الموقع الزماني والمكاني لنزول الآيات استجابة لواقعة أو سؤال .

المبحث الأول السياق المكاني والزماني لنزول الآيات ابتداءً

أنزل جلَّ علاه الكتاب العزيز ليبين للناس طريق الحق والصواب ويبعدهم عن الباطل ويحميهم من الكفر ومن عذاب النار ، ويحتوي هذا الكتاب المبارك على العقائد مثل التوحيد والمعاد كما يضم الأحكام الشرعية التي من اللازم على الناس الالتزام بها ومعرفتها والعمل وفقها ، كما يضم المواعظ والأخلاق الفاضلة ويضم قصص الأنبياء الكرام عليهم السلام والأقوام السابقة.[٣]ويخبر الكتاب العزيز عن العديد من الأمور التي لا زال العلم يكتشفها إلى هذا الوقت ، ونزلت العديد من الآيات المباركة بحسب الأحداث والمواقف والأمور التي جرت مع النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله والمسلمين.[٤] اوكذلك نزلت مجموعة من الآيات المباركة ابتداءً أي لتخبر عن أمر معين لم يحدث بعد ولكن سيحدث في المستقبل ، من دون أن يوجد سؤال أو حدث أو أمر يستدعي نزولها ، سيتم في هذا المبحث الحديث عن هذه الآيات المباركة . أنزل جلَّ علاه كتابه العزيز دفعة واحدة من السماء إلى الدنيا على قلب النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وذلك في ليلة القدر، وبعدها أنزله منجَّماً أي مفرَّقاً, على نبيّ الله الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله ونزلت مجموعة من الآيات المباركة استجابة للأحداث والوقائع وقسم منها نزل بشكل مسبق أي ابتداءً من دون وجود سبب معين لنزولها . [٥]ويعتبر العلم الذي يدرس أسباب النزول من أهم العلوم التي تدرس الكتاب المبارك ومن أكثرها مكانة وشرف لكونها القرينة الرئيسية التي سارت مع الأحدث والوقائع والظروف التي نزل بها الكتاب المبارك وبهذا يكون علم أسباب النزول هو الكاشف للوقائع والأحداث الحقيقة التي تطلبت نزول نص الكتاب المبارك فهو يقود القارئ إلى الأحداث والمناسبات التي كانت أحد الأسباب المهمة في ربط المسلمين بالله جلَّ علاه . كما أنَّ هذا العلم يعطي توضيح مهم لكلّ الأحداث والأمور التي جرت ضمن مجتمع المسلمين وكيف كانوا ينتظرون أن ينزل كلام من الله يتعلق بالواقعة أو الحدث الذي كان يحدث معهم . ومن الممكن أن ينزل النص القرآني من دون أسباب مباشرة بل ينزل النص وتتحقق الآية المباركة في وقت متأخر مثلما هو الحال في الآيات التي تتكلم عن بعض الفئات التي تمردت ضمن المجتمع وما هو مصيرهم أو الآيات التي تحدثت عن نصر قريب وغيرها من الآيات الأخرى ولا يوجد شك في أنَّ الأوائل من المسلمين لم يكونوا غافلين عن هذا العلم ، وخصوصاً الذين كانوا موجودين أثناء نزول الكتاب العزيز حيث أنَّهم كانوا يوظفون الأسباب ويلقون الاهتمام على الأحداث التي رافق حدوثها نزول الكتاب العزيز ، ليتمكنوا من إدراك النص القرآني على الأسباب الصحيحة والحقيقية التي بسببها نزل الكتاب العزيز حتى أصبح هذا العلم من العلوم المنتشرة في كل الأزمان . [٦]تم تقسيم أسباب النزول عند من هم مهتمين بالكتاب العزيز إلى قسمين :

١. القسم الأول :

نزل من دون وجود سبب أو سؤال لنزول الآيات مثل الآيات التي أخبرت بوقوع حادثة معينة في المستقبل أو بنصر وفتح قريب أو بهزيمة معينة ، أو لتعطي العبرة والموعظة للناس مثل الآيات التي تتحدث عن قصص الأنبياء الكرام سلام الله عليهم وأقوامهم والقصص التي يوجد مغزى من خلالها مثل سورة أصحاب الكهف الكريمة وغيرها من الآيات والسور الأخرى ، إضافة إلى الآيات التي توضح حكم معين أو سلوك محبب عند الله جل علاه أو سلوك مكروه ، وهذه الآيات تسمى الآيات التي نزلت ابتداءً ، [٧] وسيتم تناول هذا القسم ضمن هذا المبحث .

وعليه فإنَّ الآيات التي نزلت ابتداءً تقسم إلى قسمين وهما :

- ابتداءً قبل حدوث حادثة معينة أو نصر قريب أو أمر ما من دون وجود أسباب محددة لنزولها
- ابتداءً لشرح قصص معينة وإيصال عبر ومواعظ .

٢. القسم الثاني هو القسم الذي نزل استجابة لسبب معين مثل واقعة محددة أو سؤال معين أو ما يماثل ذلك .

كما وقع اختلاف بين الاتجاهات التي اعتمد عليها المفسرون في تحديد أسباب النزول وزمان ومكان وقوع ونزول الآيات المباركة وكان ذلك في عدد ثلاثة من الاتجاهات :

١. الاتجاه الأول :يذهب أصحاب الاتجاه الأول إلى أنَّ دراسة السبب الرئيسي لنزول الآيات المباركة من الأمور المهمة والأساسية ومن الضروري عدم الترفع عنه بكونه من الأمور المسايرة للواقع وللأحداث التي نزلت فيها الآيات المباركة ، وبناء على هذا فإنَّ تفسير الكتاب العزيز من دون الرجوع إلى أسباب النزول ومكان وزمان نزول الآيات المباركة والأحداث التي أحاطت بها يعتبر من التفاسير الناقصة وهذا ما أكد عليه الواحدي [٨]. فقد أورد في المقدمة التي كتبها لكتابه "أسباب النزول" ما يلي : " قادنا الأمر إلى تقديم الفائدة للمبتدئين الذين لا يعلمون الكثير في علوم الكتاب ، وتوضيح ما نزل فيه من الأسباب ، إذ أنَّه من اللازم الوقوف عليها والاهتمام بها ، ومن الأولى أن تصرف العناية لها ، وذلك لتوقف تفسير الآية المباركة والحكم منها ومن دون الانتباه إلى قصتها وتبيان نزولها " . [٩]ومن هنا يمكن ملاحظة أن أصحاب هذا الاتجاه يتشددون لمعرفة أسباب النزول والوقوف عندها.

٢. الاتجاه الثاني يذهب له البعض من العلماء فهم يميلون إلى عدم الاعتماد الكلي على أسباب النزول في تفسير الكتاب المبارك ، وفهم آياته المباركة ومضامينها ، ويرجِعون هذا الأمر إلى الضعف في سند هذه الروايات وفي مرجعها ، فضلاً عن الاسرائيليات الكثيرة الموجودة فيها ، ومن هنا يمكن ملاحظة أن من يعتمدون على هذا الاتجاه يرفضون العمل والتركيز على أسباب النزول دون معنى الآيات . يمكن ذكر البعض من هؤلاء العلماء منهم السيد محمد جواد مغنية حيث ورد في مقدمة كتابه "الكاشف" قوله : " قمت بتجاهل ما ورد في الروايات إلا القليل منها وذلك لأنَّ من ذكرها من العلماء لم يدققوا ويمحصوا في أسانيدها " . [١٠] وكذلك العلامة الطباطبائي قال : " إنَّ المعارف الإلهية هي علوم ومعارف تعتبر أنَّها عالية بشكل دائم ولا تحتاج إلى أسباب لنزولها " . [١١]وهنا يتوضح السبب في عدم تركيز البعض من العلماء على أسباب نزول آية معينة ومكان وزمان وظرف نزولها وذلك بسبب الضعف الموجود في أسانيدها وعدم تتبع مصادرها بشكل سليم ودقيق .

٣. الاتجاه الثالث :من يتبع هذا الاتجاه يقف في المنتصف بين التابعين للاتجاهين السابقين فهم لا ينكرون العلم الذي يهتم بأسباب النزول بشكل مجمل وكامل ، ولا يعتمدون اعتماد كلي وكامل عليه ، وإنما يعتبرون أسباب النزول أمر مرافق لهم يعينهم على فهم وإدراك المعنى الذي ترجع له الآية المباركة.[١٢]وهذا لا يمنعهم من التحذير والتذكير دائماً بوجود روايات مدسوسة وخاطئة هدفها تشويه معاني آيات الكتاب العزيز ، حيث أنَّهم يشددون بشكل كبير على وجوب عدم الاعتماد على أي رواية إلا بعد التأكد منها بشكل دقيق ومعرفة السند الذي ترجع إليه والمصدر الذي تعود له . ومن هم من أصحاب هذا الاتجاه هو الشيخ البلاغي حيث بين في مقدمة كتابه المسمى "آلاء الرحمن " أنَّ الرجوع إلى تفسير وأسباب نزول الآيات المباركة الواردة عن مجاهد وعن الضحاك وعن غيرهم التي ملأت الكتب التفسيرية لا يوجد فيه عذر للإنسان حيث أنَّه من الممكن أن يشوه علاقته مع خالقه وربه الكريم وذلك لأنَّ تلك الروايات الكثيرة غير واضحة وغير مؤكدة في مصدرها وسندها إلا ما هو مبني على قواعد العلم الرئيسية والرصينة والمؤكدة التي لا شك فيها[١٣].

أولاً : الآيات التي نزلت ابتداءً قبل حدوث حادثة معينة من دون وجود أسباب محددة لنزولها

يوجد العديد من الآيات المباركة التي نزلت ابتداء أي من دون وجود سبب مباشر لنزول هذه الآية بل أنَّها تخبر عن حادثة مستقبلية وكان نزولها في زمان ومكان مناسبين ومن هذه الآيات يمكن ذكر :الأمثلة : قوله جلَّ علاه : **(الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِيَ أَدنَى الأَرضِ وَهُم مِّن بَعدِ غَلَبِهِم سَيَغلِبُونَ * فِي بِضعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمرُ مِن قَبلُ وَمِنُ بَعدُ وَيَومَئِذ يَفرَحُ المُؤمِنُونَ)**[١٤]عندما نزلت هذه الآيات المباركة لم يكن يوجد أي سؤال أو حادثة حاضرة وموجودة أدت لنزولها، بل نزلت ابتداءً وذلك لتخبر عن غلبة الروم على الفرس وذلك بعد أن هُزِموا وهذا الأمر تحقق بعد عدد من السنوات . سيتم توضيح تفسير هذه الآيات المباركة عند العلماء : بيَّن العلامة الطبرسي أنَّ المفسرين قالوا أنَّ بني فارس ألحقوا الهزيمة بالروم وظهروا عليهم وذلك على عهد النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله ، وكان هذا الخبر مفرح لأهل قريش لأنَّ أهل فارس لم يكونوا من الموحدين والمؤمنين بالله جلَّ علاه وساد هذا الخبر بين المسلمين ، كما عمل الفرس على منع الروم من الدخول إلى بيت المقدس الذي كان عندهم على منزلة عالية بشكل مشابه لمنزلة الكعبة من المسلمين . [١٥]حيث قال جلَّ علاه : **(وَهُم مِّن بَعدِ غَلَبِهِم سَيَغلِبُونَ)**[١٦] ، أي أنَّ الروم سيغلبون أهل فارس في خلال سنوات قليلة وهذه الآية المباركة تدل على أنَّ الكتاب العزيز كتاب معجز من عند الله ذي الجلال والإكرام لأنَّ فيه إخبار عن ما سيحدث في المستقبل الذي هو من علم الغيب ، ولا يعلم هذا إلّا الله وحده فله الأمر من قبل غلبة الروم ومن بعدها، فلو أراد جعل الفوز لأحد الفريقين على الآخر كما بيَّن جل علاه الفرح الذي سيصيب المسلمين عندما ينتصر الروم لأنَّهم سيدفعون الفرس ويبعدونهم عن بيت المقدس وسيفرحون لحزن المشركين ولتبيان أمر الله وإثبات أنَّه الإله الواحد الذي يعلم الغيب ويعلم ماذا سيحدث .كما ذكر السيد محمد جواد مغنية أنَّ هذه الآية المباركة تشير إلى وجه من وجوه الإعجاز للكتاب المبارك فمن وجوه الإعجاز أنَّه يتحدى المنكرين له في أن يقدموا آية واحدة مثل آيات الكتاب المبارك ، ومنها العقيدة الإلهية العظيمة الموجودة في الكتاب المبارك ، ومنها هو إخبار الكتاب العزيز عن ما لا يعرفه إلا عالم الغيب وهو الله الواحد الأحد من

مثل الإخبار عن ما يوجد في قلوب من هم من المنافقين وعن نصر النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وعن انتصار الروم وهزيمتهم للفرس بعد عدد من السنوات من انتصار الفرس عليهم وهنا في هذه الآيات المباركة تجلى هذا الوجه. وهذه الآيات الكريمة تدل على الحادثة التي أجمع كلّ المفسرين على صحتها والملخص لهذه القصة أنَّ أهل فارس كانوا على دين المجوسية ولا يوجد لهم إله أو كتاب يتبعونه ، مثلهم مثل المشركين . [١٧] في حين كان الروم من النصارى والنصارى هم من أهل الكتاب أي يتبعون لإله واحد ، وفي عهد النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله حدثت حرب كبيرة بين من هم من الفرس والروم وكانت رغبة المشركين هي فوز فارس وذلك لأنَّ أهلها مشركون مثلهم ولكن كانت رغبة المسلمين أن تفوز الروم لأنهم يعبدون الله الواحد ، وبعد المعركة أتت الأخبار بأنَّ فارس انتصرت على الروم فكان هذا الخبر صعب وشاق على المسلمين ، ولكن المشركين فرحوا بهذا الخبر ووجهوا قولهم للمسلمين بأن الفرس الذين لا يوجد لهم كتاب ، غلبوا الروم الذين هم من أهل الكتاب و أنتم تظنون أنفسكم أنكم ستنتصرون علينا بالكتاب الذي أتى به نبيكم محمد فنحن لا يوجد لنا كتاب وسننتصر عليكم ونغلبكم في نهاية المطاف مثلما غلبت الفرس الروم . [١٨]عندها نزلت هذه الآية المباركة وما مضت عدد تسعة من السنوات حتى نصر الله بنصره الحق الروم على أهل فارس عندها حلَّ الفرح في ديار المسلمين وحلَّ الحزن والخيبة في ديار المشركين. وهنا يظهر سر إعجاز الكتاب العزيز حيث أنَّه جل علاه أخبر بشكل قاطع عن عودة النصر للروم وتحقق هذا الأمر وهذا الغيب المخفي لا يعلم به إلّا الله جلَّ علاه فله الأمر من قبل النصر ومن بعده وإليه وحده جلَّ علاه ترجع كلّ الأمور . كما أكَّد العلامة الطباطبائي أن هذه الآيات المباركة تمثل الوعد من الله ذي الجلال والإكرام بنصر الروم على الفرس وذلك بعد هزيمتهم . [١٩]وكان الموقع المكاني لهذه الآيات المباركة هو مكة ، في حين أنَّ الموقع الزماني هو قبل هجرة النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وسلَّم وذلك عند هزيمة الروم ، وفي هذا أثر وتدبير من الله بالغ الأهمية حيث بشَّر المسلمين بالنصر بعد عدد من السنوات حتى لا يقع الشك والخوف وقلة الثقة بالله ونبيه الكريم في قلوبهم وفي تحققها تتجلى عظمة الخالق بأبهى صورة. وتضمنت هذه الآيات المباركة المعجزة الغيبية التي أخبر جلَّ علاه عنها بانتصار الروم على الفرس.[٢٠]وورد في كتاب أسباب النزول للواحدي أنَّ المفسرين قالوا أنَّ كسرى الفارسي بعث جيشه إلى الروم وجعل قائد هذا الجيش رجل يدعى شهر يزار ، فسار بجيشه المكون من أهل فارس إلى الروم فقتلهم وانتصر عليهم وعمل على تخريب المدن التي كانوا يعيشون فيها وقطع أشجارهم ، وكان قيصر قد أرسل رجل اسمه يحنَّس التقى بقائد جيش الفرس وهو شهر يزار وذلك كان بأذرعات وبصرى وهذه المناطق تمتد من أدنى الشام إلى أرض العرب ، وعندها انتصر الفرس على الروم ضمن هذه المناطق ، ووصل هذا الخبر إلى المسلمين و النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله عندما كانوا موجودين في مكة فصعب عليهم هذا . وكان عليه وعلى آله صلاة الله وسلامه يكره أن ينتصر الأميّون الذين يتبعون ديانة المجوس على أهل الكتاب ، وعمَّ الفرح عند الكفار في مكة بهذه الهزيمة ووجهوا الشتيمة للمسلمين وأتباع النبي الكريم فقالوا للنبي وللمسلمين : إنَّكم تتبعون كتاب الله فأنتم من أهل الكتاب والنصارى كذلك من أهل الكتاب ونحن مثل المجوس أميّون وقد انتصر اخواننا في فارس على الروم وأنتم إذا قاتلتمونا سننتصر عليكم ، عندها أنزل جلَّ علاه هذه الآيات المباركة. [٢١]

وهذه الرواية مثلما تتم الملاحظة يوجد فيها تفاصيل كثيرة ولكن تفضي إلى أنَّ هذه الآيات المباركة نزلت ابتداءً من دون وجود حادثة أو سبب أو سؤال أدى لنزولها بل نزلت لتبشر بنصر سيأتي ، ولتواسي المسلمين وكان نزولها في أنسب مكان وهو مكة وأنسب زمان وهو بعد هزيمة الروم وهنا تظهر حكمة الله جلَّ علاه وعظمة الكتاب العزيز في تنسيق نزول آياته المباركة. كما أنَّ الشيرازي روى مجموعة روايات في سبب نزول هذه الآيات المباركة حيث أكَّد على أنَّ الكبار من المفسرين يتفقون على أنَّ الآيات الأولى من سورة الروم نزلت في أعقاب الصراعات التي جرت بين الروم والفرس ، وانتصار الفرس على الروم. وكان النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله في تلك الأثناء موجود في مكة ، وكان المؤمنون قلال فاعتبر المشركون أن هذا النصر الذي حققه الفرس وذلك على الروم هو من الأمور الجيدة ومن البشائر المفرحة واعتبروه أحد الأدلة على أنَّ الشرك هو الحق والنبي الكريم صلاه الله وسلامه عليه وعلى آله بعيد عن الحق . [٢٢]فقالو أنَّ الفرس مجوس ومشركون في حين الروم نصارى وغلبتهم على يدي الفرس دليل على نهاية الإسلام وانطواء صفحته بسرعة وتحقق النصر لهم عاجلاً أم آجلاً. وعلى الرغم من أنَّ هذا الاستنتاج بعيد كلَّ البعد عن الصحة وعن الحقيقة إلَّا أنَّه كان له أثر في ذلك الجو وفي محيط النبي الكريم ، ولهذا كان هذا الأمر من الأمور الصعبة والشاقة على المسلمين الذين يحبون النبي ، عندها نزلت الآيات وأكدت بشكل قاطع لا مجال للشك فيه على أنَّ الروم سينتصرون خلال فترة من الزمن. وقد حدد جلَّ جلاله الانتصار على الفرس بقوله : **(فِي بِضعِ سِنِين)**[٢٣]وهذا الخبر الذي أتى قبل أوانه ، وهو من جهة دليل قاطع وأكيد على الإعجاز الإلهي الموجود في الكتاب المبارك ، ودليل على أنَّ هذا الكتاب العظيم يعتمد في علمه على الخالق الجبار . ومن جهة أخرى كان بشارة خير على المسلمين حتى أنَّ البعض منهم قاموا بعقد رهان مع من هم من المشركين على هذا الأمر المهم . وهذا أيضاً يوضح أن هذه الآيات المباركة نزلت بشكل سابق لحادثة ستجري في المستقبل قبل وقوعها ومن دون وجود أي سبب أو سؤال ، ونزلت بعد أن تمت هزيمة الروم قبل الهجرة للنبي المبارك .

كما ورد في كتاب "المحرر في أسباب النزول " رواية عن ابي سعيد ، قال : أنَّه عندما كان يوم غزوة بدر تقدمت الروم على من هم من بني فارس فهذا الأمر أزعج المسلمين عندها نزلت هذه الآيات المباركة . [٢٤]وتمَّ في هذا الكتاب توضيح أنَّ هذا السبب ضعيف في الإسناد ، وأنَّ السياق القرآني مخالف لهذا الأمر ويرفضه ولا يوجد من اعتمد على هذا الحديث من المفسرين ، وأكَّد على أنَّ هذه الآية المباركة نزلت في مكة وذلك بعد أن تمَّت هزيمة الروم على يد الفرس فحزن المؤمنون عندها بشرهم جلَّ علاه بانتصار الروم على الفرس وحصل هذا الأمر .وبهذا يكون قد تم الحديث عن المثال الأول من الآيات التي نزلت ابتداءً قبل وقوع حادثة معينة ستحدث في المستقبل ومن دون وجود أي واقعة أو سؤال من المسلمين أو من النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله تستدعي نزولها .

المبحث الثاني الموقع المكاني والزماني لنزول الايات استجابة لواقعة او سؤال

جاء الكتاب العزيز لينقذ الأمة من الظلام والضلال ، من خلال اتباعه برنامج محدد وواضح ليخرج الناس من الظلمات إلى الحق ونوره ، فكل ما يتعلق في هذا الهدف وجد في الكتاب المبارك ، سواء أكان هذا الأمر من خلال الدعوة للإيمان بالله جلَّ علاه أو في إيراد الأحوال التي كانت عليها الأمم السابقة أو تبيان الأحداث المستقبلية أو الاجابة على الأسئلة التي يتم توجيهها للنبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله من قبل المسلمين . [٢٥]تمَّ الحديث في المبحث السابق عن الآيات التي نزلت بشكل ابتدائي من دون وجود سؤال من قِبَل المسلمين أو غيرهم ومن دون وجود حادثة محددة أدت لنزولها ، وتمَّ الحديث عن الآيات التي نزلت ابتداء لتشرح الأحداث التي جرت في الزمان الأول قبل وجود الإسلام والمجريات التي حدثت مع الأنبياء الكرام عليهم السلام في نشر دعوتهم وايصالها إلى أقوامهم والمعاناة التي عانوا منها أثناء قيامهم بهذه المهمة ، بينما في هذا المبحث سيتم الحديث عن الآيات التي نزلت بعد سؤال المسلمين أو بعد حدوث واقعة أدت لنزول هذه الآيات المباركة . إنَّ السؤال للنبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله شغل قسم كبير من الكتاب المبارك ، حيث أنَّ الهدف من القرآن الكريم هو الإصلاح لكلِّ المجتمع الاسلامي من خلال الإجابة على الأسئلة التي يطرحها المسلمون على النبي الكريم محمد صلاه الله وسلامه عليه وعلى آله بهدف معرفة أمر ما أو الفصل في مسألة فيها نوع من الحيرة أو الضياع أو غيرها من الأمور الأخرى.كما أنَّ دراسة الموقع الزماني والمكاني للآيات التي نزلت للإجابة عن سؤال معين أو للحديث عن واقعة محددة له أهمية كبيرة منه فهم النص القرآني بشكل أكبر وإدراك الآيات المدنية والمكية والفرق فيما بينها وفهم التدرج في الأحداث الزمنية وروعة النص القرآني في الإجابة على الأسئلة وغيرها من الأمور الأخرى.امثلة قوله جلَّ علاه : **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)**[٢٦].وردت العديد من الأقوال ضمن العديد من الكتب التي تتحدث عن سبب نزول هذه الآية المباركة ومنها ما ورد في كتاب "المحرر في أسباب النزول" ، حيث ورد عن عبدالله بن مسعود أنَّه قال: أنَّه كان موجود مع النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله في حرث والحرث هو الزرع[٢٧] ، وكان هذا في المدينة ، وكان النبي يتوكأ وذلك على عسيب وهي عبارة عن جريدة مصنوعة من النخل ومن [٢٨]. فمرَّ بهم مجموعة من اليهود ، فتشاوروا بين بعضهم وقالوا : اسألوه عن الروح ، ولكن البعض منهم عارض توجيه السؤال للنبي ، وقالوا : لا تسألوه فمن الممكن أن يسمعكم أمر تكرهونه ، ولكن لم يكترث البعض الآخر وقدموا إلى النبي وقالوا له : هل تحدثنا عن الروح ما هي ، فظلَّ النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله صامت لوقت قصير حتى أجابهم ، وظنَّ ابن مسعود أنَّه كان يوحى إليه ، وفي هذه الأثناء نزلت هذه الآية المباركة فقرأها عليهم ، [٢٩] وهذا هو القول الأول وهو الحديث الوارد عن ابن مسعود وبناءً على هذا القول يكون الموقع المكاني لهذه الآية المباركة هو المدينة والموقع الزماني بعد هجرة النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله .وورد في قول آخر عن سبب نزول هذه الآية المباركة أنَّ قريش وجهت القول لليهود أن يعطوهم أي شيء يسألون عنه النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله ، فقال اليهود لهم : اسألوه عن الروح ، فوجهوا السؤال له عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، عندها نزلت هذه الآية المباركة ، عندها قالوا : إنَّ الله قد أعطاهم من العلم الكثير لأنَّه أعطاهم التوراة، ومن لديه التوراة لديه العلم الكثير ، عندها أنزل جلَّ علاه الآية المباركة التالية : **(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)**[٣٠]ومن القول السابق يمكن استنتاج أنَّ الموقع المكاني لهذه الآية المباركة هو مكان وجود قريش أي في مكة والموقع الزماني هو قبل هجرة النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله.وورد في كتاب المحرر دراسة لأسباب النزول التي وردت في شأن الآية المباركة والدراسة هي عبارة عن التفكر فيها والتدقيق في سندها هل هو صحيح أو غير صحيح وذلك من قبل المؤلف، فبيَّن المؤلف أنَّ ما أورده الكثير من المفسرين في سبب نزول هذه الآية المباركة أنَّها نزلت بسبب سؤال اليهود للنبي عن الروح ، وهذا في الغالب هو الحديث الصحيح حسب ما هو وارد في الكتب القديمة وما يتوافق مع سياق الآية المباركة .وورد عن الطبرسي أنَّ الله جلَّ علاه يقول لنبيه المبارك محمد صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله في هذه الآية المباركة : يسألك من هم من الكفار من أهل الكتاب عن الروح و ماهيتها وكيف تكون ، فقل لهم أنَّ الروح هي من أمر ربي ولم يأتِ لكم الله جلَّ علاه أنتم وكلَّ الناس إلّا القليل فقط من علمه فهو صاحب العلم الكثير الذي لا ينقطع ، و ورد أنَّ

من سأل النبي صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله عن الروح كان من اليهود ،[٣١] وحسب هذا القول يكون الموقع المكاني للآية المباركة في المدينة لأنَّ اليهود كانوا موجودين في المدينة وبالتالي الموقع الزماني هو قبل الهجرة كما ورد في قول ابن عطيه أن الضمير الموجود في كلمة **(وَيَسْأَلُونَكَ)** يعود لليهود وأنَّ هذه الآية المباركة نزلت في المدينة ، ثم تابع في حديثه وفي نهايته قال أنَّ هذه الآية مكية أي نزلت في مكة والضمير الموجود في **(وَيَسْأَلُونَكَ)** يعود لأهل قريش وفي هذا الحديث الذي أورده ابن عطية تناقض كبير ، حيث بيَّن أولاً أنَّ موقعها المكاني هو المدينة وبعدها ناقض رأيه وبيَّن أنَّ موقعها المكاني هو مكة. والبعض من أهل العلم أكدوا على أنَّ هذه الآية مكية ، حيث ورد في قول ابن كثير عندما ذكر الحديث الذي أورده ابن مسعود : أنَّ هذا السياق يبين مثلما ظهر في البداية أنَّ هذه الآية نزلت في المدينة أي مدنية ، ونزلت عندما سأل اليهود النبي عن الروح على الرغم من أنَّ سورة الإسراء كلّها مكية ومن الممكن أن يكون الجواب على هذا الأمر أنَّ هذه الآية نزلت على النبي الكريم مرتين مرة في المدينة ومرة في مكة .[٣٢] ومن الممكن أنَّهم سألوه عليه وعلى آله الصلاة والسلام هذا السؤال عن الروح في المدينة ، و أجابهم وفق الآية التي نزلت عليه سابقاً عندما كان في مكة ، أي أنَّ هذه الآية المباركة نزلت على النبي الكريم في مكة نتيجة توجيه السؤال له عن الروح وعندما ذهب الى المدينة تكرر عليه هذا السؤال فأجاب بحسب الآية التي نزلت عليه سابقاً في مكة . وأمَّا في شأن ما روي عن النبي الكريم من قِبل ابن مسعود و ابن عباس فيوجد تشابه بين القولين هو أنَّ من هم من اليهود عندما سألوا النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله ظن النبي أنَّهم أكثر قرباً إلى فهم وإدراك معنى الروح من قريش فانتظر حتى ينزل الله جل علاه الوحي عليه بما يجب أن يجيبهم بشكل أوضح وأبين مما أجاب به قريش فكرر جلَّ علاه نزول هذه الآية العظيمة في المدينة أو من الممكن أن يكون جلَّ علاه أمر نبيه الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله في أن يتلو هذه الآية المباركة عليهم مرة أخرى ليعلم أنَّهم مماثلون لقريش و عاجزون عن إدراك الجواب الذي لا يتغير. وورد في قول ابن حجر وهو الحافظ عندما شرح الحديث الذي ذكره ابن مسعود ما يلي : وهذا يشير إلى أنَّ هذه الآية المباركة نزلت في المدينة ولكن ورد في رواية الترمذي ... ثم تابع في حديث ابن عباس بقوله: من الممكن الجمع في أنَّ النزول يتعدد وذلك بسبب أن النبي قد سكت قليلاً في موقع ما منتظراً تبياناً أكثر للأمر ، وهذا يعني أنَّ الأمر قد تبين له في السابق وانتظر صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله في المرة التالية من نزول هذه الآية المباركة توضيح وتبيان أكثر . والخلاصة التي وضع بها العديد من الرواة حجتهم في اعتمادهم على الحديث الذي ذكره ابن عباس يتلخص في العديد من الأسباب منها :

- أنَّ كلّ السورة المباركة وهي سورة الإسراء نزلت في مكة يعني أنها نزلت في الوقت الذي سبق سؤال اليهود للنبي المبارك صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله.
- أن السياق الذي كانت عليه الضمائر الموجودة في الآيات المباركة كانت في قريش ومنها الضمير الموجود في كلمة : **(وَيَسْأَلُونَكَ)**.ووفق الحديث الذي قدمه ابن مسعود وردت العديد من الأقوال منها :
- أنَّ الآية المباركة نزلت على النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله مرة ثانية في المدينة.
- إنَّ الوحي قد نزل على النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله بأن يجيبهم عن الأمر الذي سألوه عنه وفق الآية التي تقدم نزولها .

وبيَّن صاحب كتاب المحرر في أسباب النزول رأيه في كلِّ هذه الأقوال وأكد أنَّه سيحلل هذا الموضوع وفق ما يقدر الله جلَّ علاه له من الفهم والإدراك فبيَّن أنَّ القول الذي يفيد في أنَّ سورة الاسراء كلَّها بكامل آياتها مكية هو قول غير مثبت ولا يوجد دليل واضح يثبته ويبين صحته ، ومن الخطأ من مجموعة من العلماء أن يقدموا أحاديث متواترة وروايات غير معروفة في السند ويبدُّونها على أحاديث مثبتة بالأدلة وهذا ما سبب هذه الاختلافات في الأقوال حيث أنَّ منهم من قال أنَّها نزلت في مكة قبل هجرة النبي ومنهم من قال أنَّها نزلت في المدينة وذلك بعد الهجرة.وما يحدث من الاختلافات في سبب نزول هذه الآية المباركة هو نتيجة لعدم التأكد الصريح من سند الروايات التي يعتمد عليها العلماء ، وفي القول أنَّ الضمير الموجود في كلمة **(وَيَسْأَلُونَكَ)** عائد إلى قريش تحليل آخر وهو أنَّ أقرب ضمير يعود إلى قريش في السورة الكاملة بينه وبين هذه الآية عدد ثمان من الآيات ، ولو كان هذا الأمر صحيح فمن الممكن أن تكون الضمائر في الآيات المباركة متنوعة فهذا الأمر معروف عند العلماء ، حيث أنَّه في الآية الواحدة تتنوع دلالات الضمائر فهذا طبيعي أن تكون الدلالات متنوعة في السورة الكاملة أي من غير الصحيح القول أنَّ الضمير في هذه الكلمة يعود إلى قريش لأنَّ الضمائر الموجودة في سورة الاسراء تعود إلى قريش . وفي النهاية توصل الكاتب إلى أنَّ حديث ابن مسعود هو الصحيح لأنَّ إسناده قوي .[٣٣]ومما سبق يمكن ملاحظة صعوبة تحديد الموقع المكاني والزماني لنزول هذه الآية المباركة بشكل دقيق تماماً نظراً للاختلاف الكبير في الروايات الواردة في شأنها .كما ورد في قول الواحدي عن سبب نزول هذه الآية أنه ورد الحديث عن النحوي وهو محمد بن عبد الرحمن ، قال أن ابن العباس محمد بن بشر ، أخبر أنَّه حدَّث سعيد عن الأعمش ، عن عبد الله قال أنَّه كان مع النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله في حرث الموجود في المدينة وكان متكئ وذلك على عسيب عندها مر مجموعة من الناس يتبعون لليهود فقالوا : اسألوه عن ماهية الروح

فرفض البعض منهم سؤاله وقالوا أنَّه من الممكن أن يخبركم ما لا تحبون، فقدم مجموعة إلى النبي الكريم وقالوا له : ماذا تقول عن الروح يا أبا القاسم ، فسكت ثم وقف وأمسك بيده ووضعها على جبهته فعرف عبد الله أنَّه يوحى إليه عندها أنزل جلَّ علاه هذه الآية المباركة وهذا ما رواه العديد من العلماء والمفسرين[٣٤] . وورد في القول عن عكرمة وذلك عن ابن عباس أنَّ قريش وجهت القول لليهود : قدموا لنا أي أمر تريدونه لنسأل محمد عنه فقالوا لهم سلوه عن الروح فنزلت هذه الآية المباركة ، وورد في قول المفسرين أيضاً أنَّه حصل اجتماع بين من هم من اليهود فوجهوا قولهم لقريش عندما سألوهم عن الشأن الذي يتصف به النبي محمد صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله ، اسألوا محمد عن الروح وعن مجموعة من الفتية الذين فقدوا في بداية الأزمان وعن رجل وصل إلى مشرق الأرض وإلى مغربها ، فإذا أجاب على كلّ هذه الاسئلة فهو ليس نبي ، وإذا لم يجب عن أي سؤال منها فهو ليس نبي أيضاً ،وإذا أجاب على بعض هذه الأسئلة وأهمل بعضها فهو نبي.فسألوه عن هذه الأمور فنزلت الآيات المباركة التي تجيب عن أسئلتهم وهذه الآيات هي :

- قوله جلَّ علاه : **(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)** [٣٥]

وهذه الآية إجابة عن السؤال الذي يتضمن اختفاء مجموعة من الفتية الذين كانوا موجودين في بداية الأزمان .

- قوله جلَّ علاه : **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا)**[٣٦] .

لتجيب عن السؤال عن الرجل الذي وصل إلى مشرق الأرض ومغربها .

- قوله جلَّ علاه : **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)**[٣٧] .لتجيب عن سؤالهم عن الروح . [٣٨]وبهذا يكون قد تمَّ ايراد أسباب النزول التي أدت لنزول الآية المباركة ويمكن ملاحظة أنَّ هذه الآية نزلت بغرض الإجابة عن سؤال تمَّ توجيهه للنبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله.وحدث الاختلاف في الموقع المكاني لنزولها كما تمَّ الحديث سابقاً هل نزلت في مكة أم في المدينة ، كما وقع الاختلاف في الموقع الزماني لنزول هذه الآية المباركة هل نزلت قبل هجرة النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله أو بعدها ، ولكن المهم أنَّها حققت الهدف منها وهو أنَّها أجابت على السؤال الذي تم توجيهه للنبي المبارك وهذا ما أثبت صدق رسالته وقوة بيانه وصدق دعوته .كما بيَّن العلامة الطبرسي أنه وقع الخلاف حول ماهية الروح المقصودة في الآية المباركة فورد العديد من الأقوال ومنها أن يسألوا النبي الكريم عن الروح والذي هو بدن الإنسان وجسده ولم يقدم النبي صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله إجابة على هذا الأمر ومن سأله عنه هم مجموعة من اليهود أيضاً. وبناءً على هذا فقد عدل النبي الكريم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله عن تقديم الجواب لهم وذلك لأنَّه يعلم أنَّهم كانوا بسؤالهم متعنتين وليس بهدف الاستفادة فلو صدر منه الجواب لازداد عنادهم . وقد ورد في القول أيضاً أنَّ اليهود وجهوا القول لمن هم من كفار قريش أن يسألوا النبي الكريم محمد صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله عن الروح فإذا أجابكم فليس نبي وإذا لم يجبكم فهو نبي فنحن نجد هذا في كتبنا ، فأمر الله جلَّ علاه النبي الكريم أن يعدل عن إجابتهم وأن يُرجع معرفة وفهم ماهية الروح لهم ولتفكيرهم ومنطقهم حيث أنَّهم لن يعرفوها ولن يدركوا معناها وحدهم ، ليكون هذا دليل على صدق نبوته عليه السلام . [٣٩]

الخاتمة

بعد استعراض موضوع السياق المكاني والزماني للآيات القرآنية في ضوء أسباب النزول، يتبين أن هذا العلم يمثل أحد المفاتيح الأساسية لفهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا، إذ يسهم في الكشف عن الملابسات التاريخية والواقعية التي أحاطت بنزول الآيات، ويعين على إدراك مقاصدها ودلالاتها، ورفع ما قد يرد من إشكال في تفسيرها أو تطبيقها.وقد أظهر البحث أن معرفة زمان النزول ومكانه، إلى جانب الوقوف على أسباب النزول الصحيحة، تُثري العملية التفسيرية وتساعد في الترجيح بين أقوال المفسرين، مع التأكيد على أن خصوص سبب النزول لا يحد من عموم دلالة النص، بل يبقى القرآن الكريم صالحًا للهداية والتشريع في كل زمان ومكان، وفق القواعد الأصولية والضوابط العلمية المعتبرة.كما خلص البحث إلى أن دراسة السياق ليست غاية في ذاتها، وإنما هي وسيلة لفهم النص القرآني في إطاره الصحيح، بعيدًا عن التأويلات المجردة من القرائن، بما يحقق مقاصد الشريعة ويحفظ للنص القرآني دلالته الشاملة وخلوده.وفي ضوء ذلك، يوصي البحث بضرورة العناية بدراسة أسباب النزول دراسة نقدية تعتمد الروايات الصحيحة، وربطها بالسياقين المكاني والزماني، وتوسيع نطاق الدراسات التطبيقية التي تُبرز أثر السياق في تفسير الآيات واستنباط الأحكام، بما يسهم في تعزيز الدراسات القرآنية وتقديم فهم علمي رصين يواكب متطلبات البحث الأكاديمي المعاصر.

أولًا: النتائج

١. أثبتت الدراسة أن معرفة السياق المكاني والزماني للآيات القرآنية تُعد من أهم الوسائل العلمية لفهم دلالات النص القرآني فهمًا صحيحًا، وتجنب الخطأ في تفسيره.

٢. تبين أن علم أسباب النزول يمثل ركيزة أساسية من ركائز علوم القرآن، لما له من دور في بيان الملابسات التي صاحبت نزول الآيات، والكشف عن مقاصدها.

٣. أظهرت الدراسة وجود علاقة وثيقة بين السياق الزماني والمكاني وأسباب النزول، إذ إن كلًّا منها يُكمل الآخر في توضيح المعنى القرآني وإبراز أبعاده التشريعية والتربوية.

٤. أكدت الدراسة أن معرفة سبب النزول لا تؤدي إلى قصر دلالة الآية على الحادثة التي نزلت بسببها، وإنما تُفهم الآية في ضوء القاعدة الأصولية: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ما لم يقم دليل صحيح على التخصيص.

٥. أسهمت الدراسة في إبراز أهمية الدراسات السياقية في تجديد البحث التفسيري، وربط علوم القرآن بالمنهجيات العلمية المعاصرة دون الإخلال بالضوابط الشرعية.

ثانيًا: التوصيات

١. العناية بدراسة السياق المكاني والزماني ضمن مناهج علوم القرآن والتفسير في الجامعات ومراكز البحث العلمي.

٢. ضرورة التحقق من صحة روايات أسباب النزول قبل الاستناد إليها في الدراسات التفسيرية، والاعتماد على المصادر المعتمدة عند أهل العلم.

٤. الإفادة من الدراسات السياقية الحديثة في خدمة التفسير، مع الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة والضوابط العلمية المعتبرة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن ابي الحديد ، هبة الله بن محمد بن الحسين ، شرح نهج البلاغة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠هـ ، ج٤

٢. ابن إدريس، محمد بن أحمد، السرائر: الحاوي لتحرير الفتاوي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤١٠هـ، ج٢.

٣. ابن الأثير ، مجد الدين ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩ هـ، ج٣

٤. ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٩ هـ ، ج١

٥. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، د.ت، ج٤.

٦. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، ج٨.

٧. ابن سليمان، مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ، ج٢.

٨. ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م ، ج١

٩. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت, ٢٠٠٨م، ج٥.

١٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ،بيروت ، ١٤١٨ هـ ، ج٦

١١. ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ج٨.

١٢. ابن هشام ، عبد الملك ، السيرة النبوية لابن هشام ، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، ١٣٧٥هـ ، ج٣

١٣. أبو صلاح الحلبي، تقي الدين بن نجم الدين، الكافي في الفقه، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أصفهان، ١٤٠٣هـ.

١٤. أبي الفرج ، عبد الرحمن بن علي ، أسباب النزول ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢هـ

١٥. أبي القاسم ، محمد ، التنبيه على فضل علوم القرآن ، دار التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م

١٦. الأجهوري ، عطية الله ، إرشاد الرحمن لأسباب النزول ، دار الفكر ، سوريا ، ١٤١٥هـ

١٧. الإسكافي ، محمد ، درة التنزيل وغرة التأويل ، دار التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ ،ج٢٥

١٨. الإسلامي، رضا، مدخل علم الفقه، مركز مديرية الحوزة العلمية في قم، قم، إيران، ١٣٨٤هـ.

١٩. إسماعيلي زاده، عباس، اسرار و حكمت‌هاى نزول تدريجى از ديدگاه قرآن " أسرار وحكمة التدرج في نزول القرآن الكريم" ، در نشريه الهيات وحقوق دانشگاه رضوى، العدد٥، شتاء ١٣٨٣هـ

٢٠. الأصفهاني، محمد حسين، الفصول الغروية في الأصول الفقهية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

٢١. آغا بزرگ الطهراني، محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ، ج١.

٢٢.الآلوسي البغدادي، شهاب الدين محمود، تفسير روح المعاني ، دار احياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، ١٤٠٥هـ ، ج٢١
٢٣.الآمدي ، عبد الواحد ، غرر الحكم ،مكتب الاعلام الإسلامي ، قم ، ايران ، ١٣٦٦هـ
٢٤.انصاري، مسعود، نزول تدريجي قرآن كريم " النزول التدريجي للقرآن الكريم " ، نشر دوستان، در مجموعه مقالات دانشنامه قرآن ، طهران، ١٣٧٧هـ
٢٥.الأيرواني، باقر، دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي على المذهب الجعفري، دار الفقه، قم، إيران، ١٤٢٧هـ، ج٢.
٢٦.البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ.
٢٧.البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، اسماعيليان، قم، إيران، د.ت.
٢٨.البروجردي، السيد حسين، جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة، مطبعة المهر، قم ، إيران، ١٤١٥هـ، ج٨.
٢٩.البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ج١.

هوامش البحث

[١] القرآن الكريم ، سورة الصف ، الآية ٩

[٢] الحسني ، نذير ، دروس في علوم القرآن ، دار التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٢٠م ، ص١٢٠

[٣] الأصفهاني ، صدر الدين صدر ، الفصول ، دار الكتاب الإسلامي ، قم ، ايران ، ١٢٥٣هـ ، ص٤٠٤

[٤] الخرمشاهي ، قرآن مجيد ، مرجع سابق ، ص١٦٣١

[٥] انصاري، مسعود، نزول تدريجي قرآن كريم " النزول التدريجي للقرآن الكريم " ، نشر دوستان، در مجموعه مقالات دانشنامه قرآن ، طهران، ١٣٧٧هـ ، ص٢٢٢٦

[٦] محمود ، آلاء حمزة ، أسباب النزول وأثرها في تفسير النص القرآني ، الكلية التربوية المفتوحة قسم علوم القرآن ، العراق ، ٢٠٠٨م ، ص١٥٥

[٧] حسين ، عبد الرحمن بن أمجد ، أطروحة دكتوراه بعنوان أسباب النزول ، الجامعة الإسلامية العالمية ، قسن التفسير وعلوم القرآن ، ٢٠١٧م ، ص٢١

[٨] محمود ، أسباب النزول وأثرها في تفسير النص القرآني ، مرجع سابق ، ص٢١٠

[٩] الواحدي ، علي بن احمد ، أسباب النزول ، دار الإصلاح ، الدمام ، السعودية ، ١٤١٢هـ ، ص١٠٢

[١٠] مغنية ، محمد جواد ، التفسير الكاشف ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧م ، ج ١ ، ص١٤

[١١] الطباطبائي ، محمد حسين ، القرآن في الإسلام ، سازمان تبلغات اسلامى ، طهران ، ايران ، ١٤٠٤هـ ، ص١٥٣

[١٢] محمود ، أسباب النزول وأثرها في تفسير النص القرآني ، مرجع سابق ، ص٢١١

[١٣] البلاغي ، محمد جواد ، الآء الرحمن في تفسير القرآن ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٥٢هـ ، ج١ ، ص٤٥

[١٤] القرآن الكريم ، سورة الروم ، الآيات ١-٤

[١٥] الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، دار التراث العربي ، بيروت ، لبنان، ١٤١٢هـ ، ج٨ ، ص٤٢

[١٦] القرآن الكريم ، سورة الروم ، الآية ٣

[١٧] توفيقى، حسين، آشنايى با اديان بزرگ " مقدمة عن الديانات الرئيسية"، نشر سمت، طهران ، ١٣٨٦هـ ، ص٥٦

[١٨] مغنية ، التفسير الكاشف ، المرجع السابق نفسه ، ج٦ ، ص١٢٩

[١٩] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، إيران، ط ٥، ١٤١٧ هـ ، ج١٦ ، ص١٢٨

[٢٠] الآلوسي البغدادي، شهاب الدين محمود، تفسير روح المعاني ، دار احياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، ١٤٠٥هـ ، ج٢١ ، ص٢٥
الموسوي، عباس بن علي، الواضح في التفسير ، مركز الغدير ، بيروت ، لبنان، ط ١، ١٤٣٣ هـ ، ج١٢ ، ص٢٢٨

[٢١] الواحدي ، أسباب النزول ، مرجع سابق ، ص٣٦١

[٢٢] مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، المرجع السابق نفسه ، ج٦ ، ص١٢١

[٢٣] القرآن الكريم ، سورة الروم ، الآية ٤

[٢٤] المزيني ،خالد بن سليمان ، المحرر في سباب النزول ،دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٧هـ ،ص٣٢

[٢٥] الحسني ، دروس في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص١٢١

[٢٦] القرآن الكريم ، سورة الاسراء ، الآية ٨٥

[٢٧] ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ، ج٢ ،ص١٣٤

[٢٨] ابن الأثير ، مجد الدين ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩ هـ، ج٣ ،ص٢٣٤

[٢٩] المزيني ، المحرر في سباب النزول ، مرجع سابق ، ص٦٦٧

[٣٠] القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآية ١٠٩

[٣١] الطبرسي ، مجمع البيان ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص٢٨٦

[٣٢] المزيني ، المحرر في سباب النزول ، مرجع سابق ، ص٦٦٨

[٣٣] المزيني ، المحرر في سباب النزول ، المرجع السابق نفسه ، ص٦٧٠

[٣٤] الواحدي ، أسباب النزول ، مرجع سابق ، ص٢٩٩

[٣٥] القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآية ٩

[٣٦] القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآية ٨٣

[٣٧] القرآن الكريم ، سورة الاسراء ، الآية ٨٥

[٣٨] الواحدي ، أسباب النزول ، مرجع سابق ، ص٣٠٠

[٣٩] الطبرسي ، مجمع البيان ، المرجع السابق نفسه ، ج٦ ، ص٢٨٦